منهجية تحليل
الخطاب الشعري العربي القديم
(الأدوات، والإجراءات)

إعداد

د. مريم بنت عبدالهادي محمد القحطاني
جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الأدب

منهجية تحليل الخطاب الشعري العربي القديم (الأدوات، والإجراءات)

مريم بنت عبدالهادي محمد القحطاني
قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة، السعودية.
البريد الالكتروني: maqahtani@uqu.edu.sa

الملخص:
يقدم البحث منهجية بحثية ذات قواعد إجرائية مستمدة من ذخائر التراث الفكري الإسلامي في التعامل مع الخطاب وتحليله ، وذلك في مجالي نقد السند ونقد المتن ، مع العناية ببيان الأصول والإجراءات التي تؤسس لمنهج نقدي يأخذ بيد الناقد لاكتشاف أغوار الفن الشعري ومراميه .

الكلمات المفتاحية: منهج، تحليل، الخطاب الشعري، القديم .

Ancient Arabic poetic discourse analysis methodology (tools, procedures)

Maryam Bint Abdul Hadi Muhammad Al-Qahtani
Department of Literature and Criticism, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Makkah, Saudi Arabia.
Email: maqahtani@uqu.edu.sa

Abstract:
The research presents a research methodology with procedural rules derived from the repertoire of the Islamic intellectual heritage in dealing with and analyzing the discourse, in the fields of criticism of the bond and criticism of the body, with attention to explaining the principles and procedures that establish a critical approach that takes the hand of the critic to discover the depths and goals of poetic art.

Keywords: Method, Analysis, Poetic Discourse, Ancient.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، أهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين،، أما بعد.

فالحديث عن الشعر ذو شجون، فهو الفن القولي الذي تميز به العرب منذ أقدم الأزمنة، وعلى صفحاته الإبداعية تجلَّتْ عبقريتهم البيانية، وكان دومًا التحدي الأعظم لقدرات النقاد لإدراك أسراره وخفاياه، ألم يقل الخليل بن أحمد:«الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاؤوا»[(١)]، وفي حضرة أمراء الكلام علينا بالحوار الهادئ المتثبت، وقد قال حازم عن شعراء العربية القدامى: «فليسوا يقولون شيئًا إلاّ وله وَجْهٌ، فلذلك يجب تأوّل كلامهم على الصحة، والتوقف عند تخطئتهم فيما ليس يكون له وَجْهٌ»[(٢)]، ولذا فالشعر غير قابل للتقنين، ولا للقوالب الجاهزة ؛ لأنَّ مِنْ شأن الإبداع أنْ يتمرد على القوالب، وعلى الناقد أن يعي ذلك كله حين يقترب من حَرَمِ الشعر ، وخير معين للناقد لينال الإذن بالدخول إلى عالم الشعر أن يكون ذا منهج علمي، وأدوات بحثية تكفل له النجاح في مهمته النقدية.

---

(١) حازم القرطاجني- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة – دار الكتب الشرقية – د.ط- د.ت – ص١٤٤.

(٢) حازم القرطاجي – المصدر نفسه – الصفحة نفسها.

وعلى هذا السبيل يمضي البحث، حيث يسعى إلى تقديم منهجية عربية إسلامية في دراسة الشعر ، مستمدة من مناهج الثقافة العربية الإسلامية، وإجراءات تحليل الخطاب فيها، ومصطلح الخطاب هنا مستمد من مفهومه في الثقافة العربية الإسلامية، وقد أدرك العلماء أهمية الوعي بدلالة مصطلح ما قبل استعماله في مجال علمي ما ، وتعريف المصطلح مفتاح ذلك الوعي ، لذا : " اعلم أنه لا يمكن الخوض في علم من العلوم إلاَّ بعد تصور ذلك العلم ، والتصور مستفاد من التعريفات "[١]

تعريف الخِطَاب لغة : حين نتتبع المراد بالخطاب في اللغة نجد أن علماء اللغة يلمحون إلى خصوصية فيه ، يقول ابن فارس (ت ٣٩٥ هجرية) : " الخاء والطاء والباء أصلان ، أحدهما : الكلام بين اثنين ، يقال : خاطبه يخاطبه خطابًا ... وأما الأصل الثاني فاختلاف لونين " [٢]

ويقول الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هجرية) عن الخطاب : " الخَطْبُ والمخَاطبة والتَّخَاطب : المراجعة في الكلام " [٣] ويقاربه تعريف

---

(١) (الإسْنَوي ، جمال الدين ، عبدالرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي (ت ٧٧٢ هجرية) – نهاية السّول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول ، للقاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفى ٦٨٥ هجرية – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٩م – ص٧)

(٢) (ابن فارس ، أبو الحسين ، ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هجرية) – معجم المقاييس في اللغة – حققه : شهاب الدين أبو عمرو – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – ط١ – ١٩٩٤ م – ص ٣٢٣)

(٣) الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (ت ٤٢٥ هجرية) – مفردات ألفاظ القرآن – تحقيق : صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق –ط ٤ – ٢٠٠٩م – ص٢٨٦

الخطاب عند الزمخشري (٥٣٨ هجرية) : " هو المواجهة بالكلام " [١]

وعند ابن منظور (ت ٧١١ هجرية) في اللسان : " الخِطَابُ والمخَاطَبَةُ : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مُخَاطَبَةً وخِطابًا ، وهما يتخاطبان " [٢]

وحين نصل إلى الزبيدي صاحب تاج العروس (ت ١٢٠٥ هجرية) نجد أن المراد بالخطاب لديه أكثر وضوحا ، لأنه يبرز مقصدا في هذا النوع من الكلام ، وهو : إفهام الغير ، حيث يقول : " الخطاب هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام " [٣] وكأنه قد أفاد من تعريفات الأصوليين للخطاب في كتبهم ، والله أعلم ، فالخطاب وفق هذا البيان كلام يقع في سياق ما ، بين مخاطِب ومخاطَب ، والمخاطِب يقصد إيصال إفهام معين للمخاطَب ، أي : كلام ومتكلم ، ومخاطب ، وموقف أو سياق.

تعريف الخطاب اصطلاحاً :

اعتنى علماء علم أصول الفقه بتعريف مصطلح الخطاب ، وذلك حين شرعوا في تعريف المراد بالحكم الشرعي ، وأنه : " خطاب الله القديم

---

(١) (الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم ، محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هجرية) – أساس البلاغة – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – د ط – ١٩٨٩ م – ص ١٦٧)

(٢) أبو الفضل ، جمال الدين ، محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١ هجرية) – لسان العرب – دار صادر – بيروت – د ط – د ت – مادة (خطب)

(٣) الزبيدي ، محمد بن محمد الزبيدي (ت ١٢٠٥ هجرية) – تاج العروس من جواهر القاموس – تحقيق : مجموعة من المحققين – دار الهداية – ١ / ٧٠

المتعلق بأفعال المكلفين ، بالاقتضاء ، أو التخيير " [١]

ولمزيد بيان لتلك المسألة يقول السُّبكي : " فحصل في الخطاب قولان: أحدهما أنه الكلام ، وهو ما تضمن نسبة إسنادية ، والثاني أنه أخص منه ، وهو ما وُجِّهَ من الكلام نحو الغير لإفادته "[٢]

ويدقق الآمدي في المراد بالخطاب ، لأن معنى الحكم الشرعي مبني عليه ، فيقول : " والواجب أن نعرِف معنى الخطاب أولا ، ضرورة توقف معرفة الحكم الشرعي عليه " [٣]

ويعرف الآمدي الخطاب بأنه : " اللفظ المتواضع عليه ، المقصود به إفهام مَنْ هو متهيئ لفهمه " [٤]

ولدقة هذه المسألة نراهم يقفون عند المراد ب (خطاب الله) فيعرفونه بقولهم : " الكلام الموجَّه للغير لقصد الإفهام ، ويجوز أن يكون قصد الإفهام حالًا ، إن كان المخاطب موجودًا ، و مآلًا إن كان المخاطب

---

(١) السبكي ، تقي الدين ، أبو الحسن ، علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦ هجرية) وولده تاج الدين ، أبو نصر بن عبد الوهاب – الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى عام ٧٨٥ هجرية – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥م – ١ / ٤٣

(٢) السبكي – المصدر نفسه – ٤٤/١

(٣) الآمدي ، أبو الحسن ، سيد الدين علي بن أبي علي الآمدي (ت ٦٣١ هجرية) – الإحكام في أصول الأحكام – تحقيق : عبد الرزاق عفيفي – المكتب الإسلامي – بيروت – ١/ ٩٥

(٤) الآمدي – المصدر نفسه – ٩٥/١

غير موجود حال صدور الخطاب " [١]، وفي كشاف اصطلاحات الفنون نجد أن تعريفه :«الكلام الموجَّه نحو الغير للإفهام»[٢] ، هذه الدقة والتمحيص في صياغة مصطلح الخطاب حققت له وضوح الدلالة المرادة منه في الثقافة العربية الإسلامية ، وذلك لأن «تحليل الخطاب ممارسة معرفية أصيلة في الثقافة العربية الإسلامية، فقد تضمنت أقوى النماذج التحليلية والتأويلية، فالمفسرون أو الأصوليون واللغويون والبلاغيون والنحاة والمتكلمون والمناطقة والدعاة والفلاسفة تلتقي تأليفاتهم في تحليل خطابات غيرهم»[٣]، أي: إنّ العناية بدراسة الكلام، بدءًا من علم التفسير وعلوم الحديث، وعلم الفقه، وأصوله، ودراسة الإعجاز القرآني، وعلم البلاغة، وعلم النحو، كل ذلك – وغيره كثير– قامت أسسه في ثقافتنا على منهجيات علمية رصينة، دقيقة الإجراءات، واسعة الآفاق، ترى فيها التغلغل المتفحص لأدقِّ خواص التراكيب وما يحدثه أيُّ تغيّر في التركيب – مهما قلّ – من تأثيرات ومعان، مع عناية بالغة بالعلاقات وأوجه الارتباط بين مفاصل الكلام، والتيقظ لمقاصده ومراميه، والكيفيات العلمية لضبط ذلك.

---

(١) عبد الرحيم يعقوب (فيروز) – تيسير الوصول إلى علم الأصول – مكتبة العبيكان – الرياض – ط ١ – ٢٠٠٣م – ٢٤٣ ، ٢٤٤

(٢) محمد علي الفاروقي التهانوي– كشاف اصطلاحات الفنون – تحقيق: لطفي عبدالبديع – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة – د.ط – ١٩٦٣م – ص١٧٥

(٣) محمد بازي – تحليل الخطاب في التراث العربي الإسلامي، مبادئ أولية لتأصيل النماذج – بحث منشور في مجلة (عالم الفكر) – العدد ١٧٧– ٢٠١٩م– الكويت – ص١١٠.

وهذا كله ذخائر منهجيَّة نفيسة لدراسة الكلام، إذا غُرستْ في تربة الدراسة النقدية للشعر، والمراد في هذا البحث بمصطلح تحليل الخطاب: «هو مجموع الإجراءات العلميّة التفصيلية للإجابة عن السؤالين: ماذا قال الخطاب؟ وكيف قال ذلك»[١] ، وتحليل الخطاب لا يقتصر فقط على (الكلام) وإنما يمد بصيرته النقدية إلى مقام ذلك الكلام، وسياقه، ومقصديته النهائية[٢].

والناظر في التراث الفكري الإسلامي لا يملك إلاّ العجب مما فيه من بحر زاخر بمنهجيات تحليل الخطاب، وتأمل ما قدَّمه الأصوليون – أي علماء علم أصول الفقه – من مباحث جليلة، من أسماها وأسناها دراساتهم عن تقسيمات الألفاظ، وسبل استنباط المعاني واستخراج الأحكام[٣]، وإنْ

---

(١) محد بازي – المرجع نفسه – ص١١٤.

(٢) عبدالواسع الحميري – ما الخطاب وكيف نحلله؟ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت – ط٢، ٢٠١٤م– ص١١ .

(٣) اعتنى العديد من الباحثين ببيان منهجيات الأصوليون في جانب دلالة اللفظ على المعنى، وقواعدهم في تقسيمات الألفاظ . انظر على سبيل المثال لا الحصر:

- أحمد يحيى بن المرتضى (ت:٨٤٠هـ) – منهاج الوصول إلى معاني العقول في علم الأصول – تحقيق: محمود سعد – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٩م – ص ٧٨ وما بعدها.
- محمد توفيق محمد سعد – سبيل استنباط المعاني من القرآن والسنة ، دراسة منهجية تأويلية ناقدة – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١ – ٢٠١١م – ص١٦٣ وما بعدها. =

وليتَ وجهك قِبَلَ المفسرين، فأنك واجدٌ طيفًا واسعًا من مناهج دراسة الكلام[١]، وقد كان لتنوع مناهجهم أثره البيّن في تفسير آيات الأحكام[٢].

ومما يجب أنْ يُعلم في هذا المقام أن السعي لاستثمار منهج من ذخائر التراث، وغرسه في حقل تحليل الخطاب الشعري ليس من السهولة بمكان؛ لأن استخراج المنهج – بادئ ذي بدئ– في حاجة إلى تيقظ وتتبع وصبر، وقد رصد بعض الدارسين ما يمكن تسميته: (غموض المنهج)، ومن أمثلته أن عبدالرحمن بن مهدي أحد كبار علماء الحديث (ت١٩٨هـ)

- =محمود توفيق محمد سعد – دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين مكتبة وهبة – القاهرة – ط١– ٢٠٠٩م
- محمد عثمان بشير – مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام – دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن – ط١– ٢٠١٦م.

بل لقد وقف الباحثون على منهجيات للأصوليين في ترتيب الموضوعات في كتبهم ، انظر:

- ترتيب الموضوعات الأصولية ومناسباته – هشام السعيد – مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١– ٢٠١٦م.
- وانظر على سبيل المثال :

منال مبطي المسعودي – التناسب في تفسير الإمام الرازي، دراسة في أسرار الاقتران – مكتبة وهبة – ط١– ٢٠١٠م.

(١) بينت دراسات عديدة مناهج أكابر المفسرين، انظر على سبيل المثال : المنهج النقدي في تفسير الطبري – أحمد نصري.

(٢) انظر: محمد عبد السلام كامل أبو خزيم – أثر اختلاف المفسرين في القواعد الأصولية اللغوية في تفسيرات الأحكام – دار اليسر – القاهرة – ط١– ٢٠٠٩م.

سئل : كيف تَعْرِفُ الكَذَّابَ؟ فقال: كما يعرف الطبيب المجنون[١] فمثلهم كمثل الصرَّاف الخبير بالنقد، روي «أن عبدالرحمن بن مهدي تكلم على حديث، فقام إليه خراساني فقال له : من أين قلت؟ قال: إذا أتيت الصرَّاف بدينار، فقال لك : هو بهرج، تقدر أن تقول له : من أين قلت؟» [٢] ، ولكن هل ندع غموض المنهج يحول بيننا وبين معرفته وضبطه؟ لا، بلا أدنى شك، بل إن شأن كل الأمم الحية أن تستثمر ذخائرها الفكرية ، وتجلِّي غوامضها، ويصحح اللاحق منا على السابق، وهكذا تدور المعرفة في عقول أهل العلم، وتنمو، وتثمر.

وقد خاض الصفوة من علماء الأمة المحدثين هذه اللُّجَج، ومن أبرزهم الشيخ محمود شاكر – رحمه الله – وأثبت هذه المعاناة التي يواجهها أهل زماننا في الكشف عن المنهج، يقول: «ولا أزعم – معاذ الله – أني ابتدعت هذا المنهج ابتداعاً بلا سابقة ولا تمهيد، فهذا خطل وتبجح، بل كل ما أزعمه أني بالجهد والتعب وبمعاناة التفتيش في هذا الركام من الكلام، جُمعت شتات هذا المنهج في قلبي ... مع طول التنقيب عنه في مطاوي العبارات التي سبق بها الأئمة الأعلام من أصحاب هذه اللغة ... وكل ما وقفت عليه من ذلك كان خفياً فاستشففته، ودفيناً فاستنبطته،

(١) صلاح الدين بن أحمد الأدلبي – منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي – دار الفتح للدراسات والنشر – الأردن –ط١ – ٢٠١٣م – ص١٦٧ وما بعدها.
(٢) صلاح الدين الأدلبي – المرجع نفسه – ص٢٨.

ومشتتًا فجمعته» [١].

وقبل الانتقال إلى عالم المنهج وتفاصيله الإجرائية، يحسن الوقوف على ركيزتين لابد منهما؛ لأن تلك المنهجية قائمة على ركيزتين هما:

الأولى: أدوات تحليل الخطاب الشعري العربي القديم، والثانية : أصول تحليل الخطاب الشعري العربي القديم .

والمراد بالأدوات : كُلُّ ما يجب أن يتوفر في الناقد من قدرات تؤهله لدراسة الشعر، دراسة قائمة على منهج علمي واضح المعالم، وبذلك فمن لا يمتلك تلك الأدوات فهو غير قادر على الخروج بنتائج علمية يوثق بها، بل ستقذف به القصائد في أودية الضلال، والأدوات منها أدوات نفسية أخلاقية، وأخرى علمية ، وثالثة عقلية.

أولاً: أدوات تحليل الخطاب الشعري العربي القديم:

(أ) الأدوات النفسية الأخلاقية: رأس ذلك إخلاص النية لله تعالى في هذا العلم (دراسة الشعر)، وهذا الإخلاص خير عون لصاحبه في بلوغه الحق، لأن النية هي البوصلة التي تهدي الملاح في الغمرات، حتى تصل به إلى شاطئ الحق واليقين، اهتداء بقول رسول الله : ((إنما الأعمال بالنيات)) [٢] ، وعلى الناقد حين يتقدم لدراسة الشعر – وأعني به هنا الشعر القديم عامة، وشعر من يحتج بهم خاصة –

---

(١) محمود محمد شاكر – المتنبي، رسالة الطريق إلى ثقافتنا – مطبعة المدني – مصر – د.ط – ١٩٨٧م ، ص٨.

(٢) الحديث رواه سيدنا عمر – رضي الله عنه – وأخرجه البخاري في صحيحه ٩/١ وكذلك في صحيح مسلم ١٥١٥/٣– ١٥١٦.

أن يضع نصب عينيه مقصداً غُيِّب عن دراسة الشعر في زماننا، وهو أنه بقدر ما يمتلك الناقد من قدرة على فهم شعر العرب فإنه سيصل إلى حُسْنَ فهم القرآن الكريم، أي أن تطوير قدراتنا النقدية من خلال دراسة الشعر هو سبيلنا لفهم القرآن الكريم، الذي أمرنا الله بتدبره لفهم كتابه الكريم، وتعبّدنا بذلك، ومن أرفع وجوه التدبر النظر في إعجازه البياني، وهذا لا يتأتَّى، إلاّ لأهل البصر بالشعر وطبقاته، ولذا فالانصراف عن فهم إعجاز الشعر القديم، مُفْضٍ إلى الانصراف عن القرآن الكريم، وفي المقابل كل عناية بكشف جماليات الشعر القديم، وإدراك أسراره وطرائقه هي سبيل لإدراك جوانب من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ولذا ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني أنّ من يصد الناس عن الشعر كمن يصدهم عن القرآن وحفظه: «كان الصاد عن ذلك صاداً عن أن تعرف حجة الله تعالى ، وكان مثله مثل من يتصدى للناس فيمنعهم من أن يحفظوا كتاب الله تعالى، ويقوموا به ويتلوه ويُقرئوه....» (١).

يرفد ذلك التحلي بأخلاقيات البحث العلمي الرصين ، وأظهرها وأهمها: الحذر والتثبت ، وطول المراجعة ، والتأني في إصدار الأحكام النقدية، مع التحلي بالتوازن النفسي، وذلك بأن يمتلك الناقد الوعي الحي بهويته وثقافته، لينجو من حالين يتجاذبان المشهد النقدي العربي، أولهما – وهو الأعنف– محور يقسو على هويته الثقافية ويجور عليها، فيقُصْيها

(١) دلائل الإعجاز – قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة – ط٣ – ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م– ص٩.

عن عمله النقدي؛ لظنه أنها غير قادرة على إسعافه بالأسلحة النقدية اللازمة في مواجهة كتائب الشعر، فيفزع للاستيراد المحموم المستمر ، ويتيه في فجاج الأرض الفكرية، تتقاذفه هبَّات رياح المناهج النقدية الوافدة السريعة التقلب، وهذه الطائفة مبتلاة باتباعية محزنة للنقد الغربي، يرافقها ضمور الهوية الثقافية، مما أفرز ظواهر عديدة مؤسفة في المشهد النقدي العربي، وقد تنبه العديد من الباحثين العرب لتلك الأزمة في النقد العربي الحديث، وما أفرزت من ظواهر عديدة مقلقة(١)، مثل التعسف، في تطبيق المناهج الغربية والتعجل فيها، وسرعة التقلب من منهج إلى منهج دون مبررات علمية سوى مسايرة الموضة النقدية، ومشكلة المصطلح(٢) وغيرها، ومما زاد الأمر خطورة وتعقيداً أن تلك المناهج الغربية ليست خلوًا من العقائد؛ وليست بعيدة عن الاشتباكات الأيدلوجية والفلسفية(٣)، وإقحام هذه المناهج بما تحمل من أنفاس الأيدلوجيات التي تنتمي لها من الخطورة بمكان لا يغفل عند عاقل، وقد شخَّص بعض الباحثين هذه الحالة

---

(١) انظر على سبيل المثال:

- وهبة رومية – شعرنا القديم والنقد الجديد.
- عبدالعزيز حمودة : (المرايا المقعرة) وكتاب (المرايا المحدبة).
- عبدالله إبراهيم – الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة.

(٢) انظر على سبيل المثال:

- يوسف وغليسي – إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد الدار العربية للعلوم ناشرون – ط١ – ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

(٣) وليد قصَّاب – من ملامح المنهج النقدي المنشود – بحث منشور في مجلة الأدب الإسلامي – العدد (٩٥) – ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م – ص٧.

وسماها:(التغريب الثقافي) وبيّن أسبابها ومظاهرها [١].

والمحور الثاني – وهو الأقل – يدرك هويته الثقافية، وهو يُحْمدُ له ، ولكنه قد يظل رهين الإنتاج المعرفي للقدماء، يكرره ، بينما عليه أنْ يَعي أن الأمم الحية بعد أن تعي ذخائرها الثقافية فإنها تسعى لاستثمار ما في تلك الذخائر ، وتنتبه إلى التشابكات والمعضلات والغوامض، لتجلي، وتقوّم، وفوق كل ذلك تخطو إلى الأمام وتطور، ولا تظل عالة على تراث الأجداد .

وقد أدّت أزمة الهوية إلى إشكالية في المرجعية الفكرية للمثقف العربي عامة، والناقد خاصة ، وتزداد هذه الأزمة حدة، بين تطرف الفئتين واختلاف مرجعياتهم الفكرية[٢].

(ب) الأدوات العلمية: وقوامها العلم بلغة العرب، وسَنَنِها في كلامها، ومذاهبها فيه، وخاصة من يحتج بشعرهم، ولا يكفي هذا، بل لابد من معرفة الناقد بالإطار الثقافي لهذه اللغة من تاريخ العرب القديم، والسيرة النبوية، وأيام العرب وأخبارها، وأنسابها، ومواطن القبائل في جزيرة العرب، وقد رُوِيَ عن الشافعي أنه قال: «أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن فما علمت أنه مرّ بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه والمراد ما

---

(١) السيد محمد الشاهد – رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم – دار المنتخب العربي للنشر والتوزيع– ط١ – ١٩٩٤م – ص١٥٢ وما بعدها.

(٢) عبدالعزيز انميرات– مناهج قراءات التراث في الفكر النهضي العربي ، إشكالات ونماذج – مركز التأصيل للدراسات والبحوث – جدة – ط١– ٢٠١٣م – ص٢١٦.

خلا حرفين، أحدهما: (دساها)» [1] ، مع المعرفة – قدر الإمكان – بعلم مصطلح الحديث، والتفسير ، والفقه، ونحوها من علوم الإسلام، يرفد ذلك كله الخبرة، والدربة، وطول المران

(ج) الأدوات العقلية: وأهمها أن يتميز الناقد بالقدرة على الربط والمقارنة، والاستنتاج، ولمح الومضات الخاطفة للشعرــ والعديد مما ذكر مؤهلات عقلية فطرية كامنة يمكن تطويرها وصقلها بالدُّرْبة والمران.

ثانياً: أصول تحليل الخطاب الشعري العربي القديم:

من البيّن لمن اعتنى بمناهج سلف الأمة في تحليل الخطاب أن هناك أصولًا كبرى لمناهجهم، وتحت مظلة تلك الأصول الكبرى تتفرع منهجيات تختص بعالم ما، هذه الخصوصية المنهجية سببها أمران: الأول: تخصص ذلك العالم، والثاني: طبيعة موضوع البحث الذي يعمل عليه.

واستضاءة بما مضوا عليه نشرع أولاً في الأصول الكبرى للمنهج في ثقافتنا، وذلك في مرحلتي: نقد السند، ونقد المتن، مع الاستعانة بآليات الاستقراء الإسلامي[٢].

---

(١) الذهبي : شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨) – سير أعلام النبلاء – ١٠-١٢.

(٢) الاستقراء في الاصطلاح هو استدلال على حكم كلي من خلال تفحص معظم جزئيات ذلك الكلي، والاستقراء قسمان :

- استقراء تام : بتتبع كل الجزئيات المندرجة تحت الكل وهذا يفيد اليقين.
- واستقراء ناقص : بتتبع معظم الجزئيات المندرجة تحت الكل وهذ يفيد الظن.=

والمنهجية المقترحة في هذا البحث منهجية نقدية عربية إسلامية تدرس الشعر عبر مرحلتين: نقد السند، ونقد المتن، وقد كان الكثير من علماء الأمة الأجلاء في ماضي الأمة وحاضرها يفعلون ذلك، احتذاء بمنهجية علم الحديث ، حيث هو : «علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن»(١). « والسند هو: الإخبار عن طريق المتن ... والإسناد رفع الحديث إلى قائله .... وأما المتن فهو ألفاظ الحديث التي تقوم بها المعاني»(٢).

فإذا نقلنا هذه القوانين إلى دراسة الشعر ، فإن السند هو تحديد كل المصادر التي روت النص موضع البحث، وضبط أحوالها وأحوال رواتها، والمتن هو النص ذاته.

القسم الأول : منهجية نقد السند:

وهنا يكون اعتماد الناقد على منهج المحدثين، واستلهام طرائقهم الدقيقة في نقد السند، وما ورد عندهم في علم الجرح والتعديل، وفحص علل الإسناد ونحو ذلك، ومع أن الحديث هنا يتجه إلى الشعر العربي القديم،

=ويرى الجرجاني في التعريفات أن النوع الأول لا يعد استقراءً، بل قياس .
انظر: بتوسع عن ذلك : عبدالزهرة البندر – منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي، أصوله وتطوره – دار الحكمة – ط١- ١٩٩٢م –ص ٣٧ وما بعدها.

(١) جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) – تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – تحقيق: نظر محمد الفاريابي – دار طيبة – الرياض – ط٥ – ١٤٢٢هـ – ٢٦/١.

(٢) السيوطي – المصدر السابق – ٢٧/١، ٢٨.

لكن يمكن تطبيق ما ذكره في دراسة الشعر الحديث والمعاصر، من خلال فحص طبعات الديوان، وما يمكن أن يكون من التباين بينها، ونحو ذلك .

والخطوات الرئيسية في هذه المرحلة[١] تأتي للتثبت من أمور ، أهمها:

شخصية قائل النص، وما عرف عنه عند أهل زمانه ومن تلاهم، وما تميز به من سمات فنية، ثم طبيعة عصره، وما يشيع فيه من مؤثرات، وأيضاً التأكد من نسبة القصيدة إليه، وأخيراً أن يكون النص موضع الدراسة كما قاله الشاعر فعلاً، أو أقرب ما يكون لما قاله الشاعر، حيث نعمل على:

١ – جمع روايات القصيدة كافة من كل المصادر التي وردت فيها، كذلك جمع الروايات التي وصفت القائل شخصياً أو فنياً.

٢ – الترتيب التاريخي للروايات، ولكن ينبغي التنبيه إلى أن الأقدمية التاريخية لمصدر ما ليست الفصل في الوثوق برواية ما، بل تدعمها عوامل أخرى، مثل: مكانة العالم الذي روى تلك الرواية، وعدالته، وتخصصه.

٣ – تصنيف الروايات إن كان بينها اختلافات ما، ورصد كل تلك الاختلافات.

٤ – فحص الرواة، للانتهاء إلى حكم عليهم بإحدى ثلاث: مَنْ أجمعت

---

(١) اعتمدت الباحثة في هذه الخطوات على التطبيق الذي ذكره الشيخ محمود شاكر في كتابه – نمط صعب ونمط مخيف – مطبعة دار المدني بجدة – ط١ – ١٩٩٦م – ص١٢١ وما بعدها.

الروايات على تعديله فهو ثقة، ومن أجمعت الروايات على تجريحه فهو متهم، ومَنْ اختلفت الروايات فيه نتوقف في أمره، ولكن كي نحكم على الرواة، علينا أن نفحص العلماء الذين حكموا على هؤلاء الرواة؛ لأن حكمهم شهادة، وفي الإسلام يشترط التأكد من عدالة الشاهد ونزاهته، ولذا نراجع كتب الطبقات والتراجم للوصول إلى معرفة أحوال هؤلاء العلماء من عدة جوانب أظهرها: المصداقية، والثقة، والضبط، وكذلك من جهة التخصص العلمي الذي برع فيه؛ لأن كل ما ذكر يؤثّر في حكمه، والباحث في ذلك كله يستضيء بمناهج المحدثين في علم الجرح والتعديل ومعاييرهم فيه(١).

٥ – البحث عما يداخل الروايات من علل الإسناد، مثلاً: ينتبه الناقد للرواية المنفردة، وكذلك يتبَّه للرواية عند راوٍ سمع من عالم ثقة زمناً طويلاً، فيقدمها على رواية عن راوٍ سمع من عالم ثقة زمناً قصيراً، «والعلة عبارة عن سبب غامض خفي قادح، مع أن الظاهر السلامة منه»(٢) ، وكما فعل علماء الحديث فإن اكتشاف العلة في الحديث بجمع طرق الحديث والنظر في اختلاف رواته وضبطتهم واتقانهم(٣)، وكذلك يفعل الناقد للشعر فيجمع كل طرق رواية نص ما، وينظر إلى اختلاف الرواة وضبطهم واتقانهم، حتى يصل إلى ترتيب تلك

---

(١) انظر: أحمد عبد الرحمن الصويان – منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم – مجلة البيان – الرياض – د.ط.ت– ١٤٣٢هـ، ص٩٥ وما بعدها.

(٢) السيوطي – تدريب الراوي – ٢٩٥/١.

(٣) السيوطي – المصدر نفسه – ٢٩٦/١.

الروايات، والحكم عليها «فعلم العلل يبدأ من حيث انتهى علم الجرح والتعديل»[١] ، أي يفحص الرواة الثقاة، بحثاً تفصيلياً، «لأن الثقة لا يكون على وتيرة واحدة في كل أحيانه ورواياته ... والثقة الموصوف بالعدالة قد يخطئ ويهم، ويقلب المتون والأسانيد»[٢] . وهذا الأمر قائم في رواية الشعر، فهناك رواة علماء ثقات، ومع ذلك ينبغي التثبت من رواياتهم لنص ما، وما رافق تلك الرواية من أحوال وأزمنة.

٦ – وأخيراً أن يستثمر ما قد يرد داخل القصيدة من دلالات تساعد في التأكد من نسبة القصيدة لقائلها، ومن سمات ذلك القائل، أي يستعين بنقد المتن على نقد السند.

وتنتهي هذه المرحلة حين يضع الناقد يده على كل روايات النص موضع البحث، ثم يرتِّب تلك الروايات وفق معايير علمية دقيقة مبنية على النظر في الراوي وضبطه، ومجال علمه وزمنه، وبلده، حتى يحكم باعتماد رواية من تلك الروايات أنها الأصح والأقرب لما قاله الشاعر، ويجعل بقية الروايات في ترتيب بدءاً من الأقوى انتهاءً بالأضعف . عندها ينتقل إلى القسم الثاني (نقد المتن).

القسم الثاني: منهجية نقد المتن:

إن الناظر في التراث العلمي الإسلامي سيجد – لا محالة – طيفًا واسعًا من المناهج التي اعتنت بنقد المتن من زوايا عديدة، وما يذكره

---

(١) همام عبدالرحيم سعيد – الفكر المنهجي عند المحدثين – ص١٠٩.

(٢) همام عبدالرحيم سعيد– المرجع نفسه – الصفحة نفسها.

البحث هنا إنما هو على سبيل المثال للحصر، والحكم في ذلك نوع الدراسة وأهدافها.

وتأمل في مناهج مفسري القرآن الكريم، فلدى كل مفسر من كبار المفسرين منهجية متميزة قابلة للاستثمار في الدرس الأدبي، وكشف غوامض النصوص، أي أن ما يرد في البحث أمثلة منهجية.

وأول تلك المناهج العلمية البالغة الدقة في تحليل الكلام في حضارتنا العربية الإسلامية منهج (علم المناسبة)، فهو منهج عريق أصيل منذ قرون متطاولة، ويحوي مباحث علمية عميقة في دراسة البيان العالي، ويمكن استثمار كنوزه في دراسة الشعر العربي، وهو أقرب رحمًا من العديد من المناهج الوافدة الأجنبية التي يجري تطبيقها على قدم وساق في ساحتنا النقدية، ولا يظن ظان أن هذا المنهج ينبغي حصره في الدراسات القرآنية؛ لأن الله في القرآن خاطب العرب بسننها في كلامها، وطالما تعلمنا من سلفنا الصالح أن فهم خصائص هذا اللسان العربي المبين هو السبيل المفسر لفهم القرآن الكريم، وكان ابن عباس يُعَوِّل كثيراً على الشعر في فهم القرآن الكريم حيث ويقول: «إن أعياكم تفسير آية فاطلبوا في الشعر، فإنه ديوان العرب»[1]، ولو نظرت في أي كتاب من كُتب التفسير لوجدت الاعتماد على الشعر حاضراً بكل جلاء فيه، في تفسير التشبيهات والاستعارات، ومعاني حروف الجر، والعطف والتقديم والتأخير ، وغير ذلك كثير.

وقبل الخوض في الخطوات الإجرائية لهذا المنهج نعرج على التعريف

---

(١) مقولة ابن عباس «إذا أعياكم» في ديوان الحماسة – التبريزي – ٣/١ .

به، والنَّسَبُ في اللغة: القرابة، وقيل هو في الآباء خاصة[١]، ويدل على المقارنة والمشاكلة وفي الاصطلاح : «علم تُعْرَف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب؛ للاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بما ورائه، وما أمامه من الارتباط الذي هو كلحمة النسب، وهو، سر البلاغة»[٢]، وذكر السيوطي أن مرجعه في الآيات إلى معنى رابط بينهما، عام أو خاص، عقلي أو حسي[٣]، وقد أثنى العلماء على هذا العلم، من ذلك قول الزركشي: «اعلم أن المناسبة علم شريف، تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول» [٤] ، وجوهر علم المناسبة البحث في العلاقات، وهو جانب أدركته الأمة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحبه الكرام، وكان لذلك أثره العميق في الأحكام الفقهية والتشريعية، فقد كان وعي أبي بكر الصديق بالعلاقات حاضرًا حين قال في شأن المرتدين: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة

---

(١) اللسان – نسب .

(٢) البقاعي ، إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م – ٥/١.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:٩١١) – الإتقان في علوم القرآن – تحقيق : فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – د.ط- ١٤٣١هـ/٢٠١٠م – ٦٩٥.

(٤) الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، (ت:٧٩٤هـ) – البرهان في علوم القرآن – خرج حديثه وعلق عليه: مصطفى عبدالقادر عطار – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – د.ط- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م – ٦١/١.

والزكاة» [١].

والوعي بالعلاقات والروابط في الكلام هو الذي جعل ابن عباس يلمح التقابل بين الآيتين من سورة البقرة: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } [٢]. وآية: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [٣]. فقال ابن عباس: «اقتتل الرجلان»[٤] ، لعل سيدنا ابن عباس أدرك علاقة التقابل بين النموذجين، مع وجود علامة أسلوبية تومئ إلى ذلك : { وَمِنَ النَّاسِ} ، ثم في ضوء التضاد بين موقف كل منهما، وأن مثل هذين النموذجين لابد أن تحصل بينهما مواجهة دامية، وروي عن سيدنا علي بن أبي طالب أيضًا في هذه الآيات قوله: «اقتتلا ورب الكعبة» ، وروي أن عمر بن الخطاب استرجع فقال: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، قام

---

(١) ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبّان التميمي البستي ، (ت:٣٥٤هـ) – السيرة النبوية وأخبار الخلفاء – صححه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء – مؤسسة الكتب الثقافية – ط١– ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م – ٤٣٠.

(٢) سورة البقرة ، الآيات : ٢٠٤ ، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧.

(٤) الطبري ، محمد بن جرير ن (ت: ٣١٠هـ) – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري وآخرون – دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة – ط٤– ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م– ٢/١١١٥.

رجل يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر فقتل»[١].

ووعيهم –رضوان الله عليهم – بالعلاقات، وما ينتج عنها من سمت، وتناسب وتقارب يظهر في طائفة من التسميات التي أطلقت على بعض السور القرآنية، كالحواميم ونحوها[٢]، هذا الوعي البياني العالي بالسمت النابع من العلاقات والروابط في بناء الكلام ليس بمستغرب منهم، وهم العرب الفصحاء، الذين كانوا منذ جاهليتهم أرباب البلاغة والبيان، ولذا فالوعي النقدي بالمناسبة في بناء الكلام كان قدرة أصيلة فيهم منذ جاهليتهم، سواء عند المبدع أو عند السامع، ولذا فالشعر عندهم (علم) ، وهذا ما دلت عليه كلمة سيدنا عمر بن الخطاب: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه» [٣]، وكان له قوانين وأسس يتم تدارسها فيما بينهم، وهذا ما دل عليه قول حازم : «لم تكن العرب تستغني بصحة طباعها وجودة أفكارها عن تسديد طباعها، وتقويمها باعتبار معاني الكلام بالقوانين المصححة لها، وجعلها ذلك علماً تتدارسه في أنديتها»[٤].

أضف إلى ذلك ما وصل إلينا من القواعد النقدية المبثوثة في بطون

---

(١) الطبري – المصدر نفسه – ١١١٧/٢.

(٢) روي عن ابن مسعود : آل حم ديباج القرآن ، القرطبي ، أبو عبدالله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، (ت:٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن – تحقيق : أحمد البردوي ، وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – ط٢، ١٩٦٤م – ص١٥-٢٨٨.

(٣) ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي (ت: ٢٣٢هـ) – طبقات فحول الشعر، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة – د.ط – د- ت، ج٢٤/١.

(٤) حازم القرطاجني – المنهاج – ص٢٦.

كتب النقد، وما تناثر في تضاعيف الأخبار المروية عن العرب من أحكام مستخرجة من البيان العالي شعرًاونثرًا[١].

وطالما نبَّه النُقَّاد إلى أهمية التناسب والتلاحم، منذ الجاحظ ومن قبله، وابن طباطبا العلوي، وابن سنان، والحاتمي، وعبد القاهر الجرجاني، وابن أبي الأصبع المصري، وابن الأثير، وحازم، وغيرهم كثير.

وحين نتابع التنظير والتطبيق لعلم المناسبة في القرآن الكريم نجد أن العديد من علماءنا قد اعتنى به قديماً[٢]،

---

(١) ابن الأثير- المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ، المكتبة العصرية – بيروت – د.ط – ١٩٩٥م – ٢٧٦/٢.

(٢) من القدماء :

- أبو بكر النيسابوري (ت:٣٢٤هـ) ، قال الشيخ أبو الحسن الشهرباني: «أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما لحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة» .
- الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، قال في فاتحة تفسيره (الكشاف) : «الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظما»١/٣.
- أبو بكر بن العربي (ت:٥٤٣هـ) يقول: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم» البرهان في علوم القرآن ٣٦/١.
- الإمام الرازي (ت٦٠٦هـ) يقول: «أكثر لطائف القرآن في الترتيبات والروابط» ، مفاتيح الغيب . وانظر عن منجهه في دراسة التناسب : التناسب في تفسير الإمام الرازي، دراسة في أسرار الاقتران ، منال المسعودي – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١- ٢٠١٠م. =

وحديثًا[١].

ويُلاحظ أن مجالات البحث في علم المناسبة، أو ما يعرف حديثاً بالتفسير الموضوعي[٢] تتخذ مسارين: مسار عام أفقي، ومسار خاص عمودي، وكلاهما يتسم بأن منهجيته قابله للتطبيق في دراسة الشعر.

أولاً: المسار العام (الأفقي):

وأطلق عليه بعض الباحثين مصطلح : منهج التفسير الموضوعي

- =الإمام الشاطبي (ت:٧٩٠هـ في (الموافقات) .
- السيوطي (ت:٩١١هـ) تناسق الدرر في تناسب السور.
- البقاعي (ت:٨٨٥هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
- وللتوسع في ذلك انظر: مصطفى مسلم – مباحث في التفسير الموضوعي – دار القلم – دمشق – ط٨ – ٢٠١٣م ، ص٦٦ وما بعدها.

(١) في العصر الحديث من العلماء الذين اهتموا بالمناسبة :

- الإمام عبد الحميد الفراهي (ت:١٣٤٩هـ) صاحب كتاب : (دلائل النظام).
- الدكتور / محمد عبدالله دراز (ت:١٩٥٨م) في كتابه : (النبأ العظيم).
- سيد قطب (ت: ١٩٦٦م) في عدة مواضع من تفسيره : (في ظلال القرآن) .
- محمد عناية الله أسد سبحاني (إمعان النظر في نظام الآي والسور) .
- ثم ظهرت مؤلفات عديدة قائمة على (منهج التفسير الموضوعي) للقرآن وهو الابن الشرعي لعلم المناسبة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :
- محمد الغزالي – نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم.
- زياد خليل الدغامين – التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي – التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.

(٢) أحمد بن عثمان رحماني – مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي – جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث – الأردن – ط١ – ٢٠٠٨م – ص١٣ ، وما بعدها.

التوحيدي التجميعي، وهو قسم من منهج التفسير الموضوعي العام يستهدف سبر أغوار الموضوعات القرآنية في القرآن كله، ومن تطبيقاته (اليتيم في القرآن الكريم)، (معنى الحياة في القرآن الكريم) وغيرها كثير[١]، ومن مجالات البحث التطبيقية فيه:

١) دراسة المناسبة بين السور، أي البحث في وجه ترتيب سور القرآن، مثل علاقة خاتمة سورة بمطلع التي تليها، أو العلاقة بين مطلع عدة سور ذات سمة مشتركة، فإذا نقلنا هذا إلى دراسة الشعر، فلابد من بعض التعديل عليه ، لأن هذا المستوى العالي من التناسب لا يمكن أن يوجد بين قصائد الشاعر في ديوانه، وهو مما اختص به القرآن الكريم، ولكن يمكن استثمار هذا النوع من البحث في التتبع التاريخي للفن عند شاعر ما، وسمات ذلك التطور في أدبه، ورصد العوامل المؤثرة فيه، ومن جانب آخر السعي لاستخلاص الخصائص الفنية لأدب ذلك الأديب المميز له، عبر مراحل حياته، وأثرها في أدبه.

٢) دراسة المناسبة في المفردة القرآنية، أي: (المصطلح) ، وهو ما يُعرف بعلم الأشباه والنظائر، وأول من استعمل تسمية الأشباه والنظائر سيدنا عمر بن الخطاب في كتابه لأبي موسى الأشعري، حيث يقول: «فاعرف الأشباه والأمثال، والأقيسة، وقس بأشبهها إلى الحق»[٢]، وبرز الاهتمام العلمي به عند علماء اللغة والمفسرين في

---

(١) أحمد بن عثمان رحماني – مناهج التفسير الموضوعي – ص١٤ وما بعدها.

(٢) الكلوذاني ، أبو عبدالله محمود بن أحمد بن الحسن الكلوذاني الحنبلي (ت: ٥١٠هـ) ، التمهيد في أصول الفقه، تحقيق: مفيد محمد أبو عمشة، ومحمد بن

بحثهم عن الألفاظ المتشابهة والمتناظرة في القرآن الكريم، وتتبع رحلة اللفظ في أودية المعاني، من ذلك : «الأشباه والنظائر في تفسير القرآن» (لمقاتل البلخي، ت ١٥٠هـ)ثم اعتنى به الفقهاء عناية بالغة ، وهنا نجد العالم يركز على البحث في معنى لفظ واحد ورد في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ويتقصَّى دلالته في كل موضع، وهذا منهج دقيق لو طبق في دراسة الشعر، سواء لشاعر واحد ، أو عدة شعراء فيكشف طرائق شاعر أو شعراء في استعمال لفظ ما وخصوصيات السياق، ودلالاته حيث استعمل ذلك اللفظ مثلاً : دراسة معجم الماء في شعر فلان أو معجم ألفاظ الماء عند عبيد الشعر أو عند شعراء المعلقات.

٣) دراسة المناسبة في الموضوع القرآني: وذلك بأن يدرس موضوعاً واحدًا في القرآن كله، للخروج بنتائج علمية دقيقة عن الرؤية القرآنية الكاملة لهذا الموضوع، مثل: (الملائكة في القرآن الكريم) ولو نقل هذا المنهج في دراسة الشعر لتوصلنا إلى إدراك بيِّن لقضايا عديدة، مثلاً: (الصراع في شعر النابغة) ، أو(الزمن في الشعر الجاهلي) ونحو ذلك.

ثانياً: المسار الخاص (العمودي):

وقد أُطلق عليه بمنهج التفسير الموضوعي الكَشْفِي. وموضوعه (السورة الواحدة) وعماد العمل فيه كشف العلاقات والروابط، ومن قواعده

علي بن إبراهيم ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى- مطبعة دار المدني ، ط١ – ١٩٨٥م – ٣٠/١.

الكبرى :

١- تحديد السورة ، ودراسة مطلعها.

٢-محاولة كشف العلاقة بين اسمها ومعاني آياتها وسبب نزولها.

٣-تقسيمها إلى فقرات، وبيان وجه التناسب بينها .

٤- البحث عن علاقة كل فقرة باسم السورة .

٥-الاعتماد على العائلة اللغوية في تحديد الموضوع حسب التقنيات اللغوية الثابتة مثل الاشتقاق ، والترادف والتكرار، والتضاد ... الخ.

٦- السعي للكشف عن شبكة العلاقات بين الآيات للوصول إلى الفكرة الكبرى المهيمنة على السورة(١).

كل هذه الإجراءات بالغة النفع، وطيبة الثَّمر حين تغرس في حقل تحليل الخطاب الشعري ويمكن بيان ذلك كما يلي:

١ - المناسبة داخل القصيدة الواحدة:

يتغلغل الباحث في بحثه ليستوعب كل العلاقات المشكِّلة لبناء القصيدة، فيدرس علاقة المطلع بالمقصد، وعلاقة المطلع بالخاتمة، وعلاقة الخاتمة بالمقصد، وعلاقة الأبيات داخل كل قسم، وعلاقة الأقسام ببعضها، والمنهجية المقدمة في البحث ستركز على التوضيح الكامل لهذا النوع في مجال تحليل الخطاب الشعري.

---

(١) أحمد بن عثمان رحماني – مناهج التفسير الموضوعي – ص١٣٠ وما بعدها.

٢ – المناسبة في موضوع في قصيدة:

حيث يبحث الكيفية التي تناولت بها القصيدة موضوعاً ما، ووجه التناسب بين هذه القصيدة وبين ذلك الموضوع ، وهذا قابل للغرس في تربة تحليل الخطاب الشعري، فنبحث، مثلاً عن: (المطر في معلقة امرئ القيس) كيف صاغ امرؤ القيس موضوع المطر في معلقته؟ وما علاقة هذه الصياغة ببناء قصيدته عامة؟ وما ملامح تأثرت صورة المطر في المعلقة بالجو العام للقصيدة والتراكيب والصور والعاطفة والنغم.

بعد هذا العرض العام سنركز الحديث على الخطوات الإجرائية لتطبيق منهجية علم المناسبة حين تنقل إلى حقل القصيدة الواحدة، وذلك بعد أن تجتاز القصيدة بسلام مرحلة نقد السند، ونطمئن إلى نسبتها إلى قائلها، ونطمئن إلى أنها كما قالها صاحبها، أو أقرب ما يكون لما قالها صاحبها، عندها يعبر الناقد برفقة القصيدة لتمر عبر ثلاث مستويات، وهو خلال عمله في كل منها يراعي أن العمدة في ذلك كله هو: القراءة المكثفة للقصيدة حتى يتشبع بجوها، وتسكن في قلبه ، ويتذوقها ويتأملها، وعندها سيجد ما يمكن وصفه بانهمار الملحوظات، وعليه عندها أن يسارع إلى تسجيل ملحوظاته، ولا يهملها؛ لأن العديد فيها يأتي خاطفاً كوميض البرق، وبعد مرحلة تسجيل الملحوظات يقوم بتصنيف الملحوظات وفق ما يظهر عليها من قواسم مشتركة، وأوجه ارتباط أو تكامل، أو تقابل وتضاد، ثم يحلل تلك الملحوظات، ويتأكد من صحتها، ويتفحصها، ويراجع ويتثبت .

وتسير المنهجية في دراسة القصيدة الواحدة في مرحلة (نقد المتن) في أربع مستويات:

أولاً: المستوى الاستكشافي.

ثانياً: المستوى التحليلي.

ثالثاً: مستوى البحث في العلاقات.

رابعاً: المستوى التأويلي.

أولا: المستوى الاستكشافي:

أول ما على الناقد أن يستخرجه بعد قراءاته المكثفة للقصيدة هو أن يحدد هيكلها العام، ونمط بنائها، وغرضها العام الذي سيقت له، وكان حازم القرطاجني قد بيَّن أن القصائد نوعان: بسيطة، ومركبة، فالبسيطة ما كانت رثاء صرفاً، أو من مدحاً صرفاً، والمركبة التي تشتمل على نسيب ورحلة ومدح ونحوها(١)، وبدا من خلال ممارسة الشعر أن القصيدة البسيطة تتشكل من فقرات، يكون الترابط الدلالي بينها قريب وسهل الاكتشاف، كأن تكون القصيدة في الرثاء فتجد الشاعر يعدد صفات المرثي، ثم يصف لحظة وصول نبأ الوفاة ، ثم يهدد قاتليه، كلها فقرات يسهل ربطها بالرثاء، أما المركبة فتتكون من فصول داخلها فقرات ، والترابط الدلالي بين الفصول عميق في حاجة إلى تأمل ونظر، والعمق مستويات وطبقات، كأن تكون القصيدة مكونة من طلل ورحلة ومدح، ثم عليه بعد أن يحدد نمطها، أن يدرك أين يبدأ كل فصل ؟ وأين ينتهي؟ ، وهذا يفضي إلى تمثل القصيدة تمثلاً عاماً كلياً في نفس الناقد ، وختاماً فهذا المستوى كذلك لابد أن يصل فيه الناقد لتمثل إجمالي أولي للقصيدة وغرضها العام، ولو تأملت كلام

---

(١) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – ٣٠٣ ، مع التنبيه إلى أن تسميته النوع الأول (بسيطة) فيه إشكال لغوي .

البقاعي في أول تفسيره لسورة الفاتحة وتنبَّهت لمنهجه، لبدتْ لك معالم ذلك المنهج، حيث يقول نقلاً عن شيخه : «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ... فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن» [1].

فالخطوة المنهجية الأولى: النظر في الغرض الذي سيقت له القصيدة، وهذا في المستوى الاستكشافي ، ثم المقدمات المهيئة لذلك الغرض وهذا يعني أن الناقد يحدد أجزاء النص الكبرى، أي يتحرك من الكلي ، إلى الجزئي ، ثم الكلي ثانية في المستوى التأويلي ، ولا تغفلنّ عما تجده في الدواوين المرويَّة عن العلماء الأثبات حين يقولون: (قال فلان يرثي) أو (قال فلان يهجو) فإن هذه الأقوال هي في عمقها أحكام نقدية جديرة بالنظر، بل قل – إن شئت– إنها تدرك أغواراً عميقة في النص الذي ترويه.

ومن ذلك قول الأصمعي عن قصيدة امرئ القيس التي نراها في وصف الصيد «قال حدثنا المازني قال: سمعت الأصمعي يقول كان امرؤ القيس ينوح على أبيه حيث يقول:

---

(١) البقاعي – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – ١١/١.

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مخرج زنديه من ستره» [1]

فبصيرة الأصمعي النقدية استطاعت اكتشاف الغرض الكلي للنص، وأدركت مراميه البعيدة، فلم يعد نصاً في الصيد والقنص فحسب ، بل هو رثاء.

ثانياً: المستوى التحليلي:

هذه المرحلة من أدق مستويات دراسة الشعر وأكثرها خطراً، وأول مراحله: (التحليل اللغوي) .

- التحليل اللغوي : وهي أشبه بعملية تنقيب لغوي عن الكلمة، وأي زلل فيهايؤدي إلى مزالق مهلكة في الدراسة ويظل يلقي بظلاله على العمل كله، والناقد وهو يجري بحثه وتقصيه لتفسير الكلمات عليه أن يحذر من مزلقين : الإلف ، والغلو ، أما الإلف فقد نبَّه إليه الشيخ محمود شاكر – رحمه الله – ولاحظ وقوعه عند بعض شراح الشعر القدامى من اللغويين ، يقول : " ويقع فيها أيضًا ما أغفلوا شرحه لظنهم أنّه ظاهر مألوف ، وهو أحقٌّ بالشرح والبيان ، لأنَّ ظهوره خادع[2] ، وقد يقع فيه الناقد في زماننا ، حين نتسرع أحياناً في تفسير كلمة ما وفق ما نألف، ونغفل عن البون الزمني الشاسع الذي يفصل بين زماننا وزمان ذلك الشعر، وما تكون الكلمة قد جالت فيه من أودية المعاني.

والمزلق الثاني – كما بدا لي في بعض كتب النقد الحديثة – : الغلو،

---

(١) المرزباني، أبو عبدالله بن محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ص٢٣.

(٢) محمود شاكر – نمط صعب ونمط مخيف – ص١٣٤، ١٣٥.

حين يبالغ الناقد ويغالي في تفسير كلمة ما، بأن يسبغ عليها من المعاني ما لا تحتمله، وتراه بينًا عند طائفة ممن طبَّق المنهج الأسطوري ، أو المنهج النفسي على الشعر الجاهلي ، فيأتي إلى لفظ ما ، ويدَّعي أنه من المجاز ، ويصرفه عن الحقيقة ، دون أن يكون هناك أي قرينة لفظية أو حالية تدل على هذا النقل من الأصل في الوضع اللغوي ، أي الحقيقة ، إلى الاستعمال المجازي .

وفوق كل ما سبق ينبغي التجافي عند مسلك بعض من يواجه الشعر وهو قليل البضاعة فيه، فيظن أن عمل الناقد أن يفسر الكلمات تفسيرًا لغويًا قريبًا أوليًا، ثم ينظمها في نثر يُجْمِلُ معنى القصيدة، أو ما يظن أنه معناها، فيقتل الإبداع في الشعر، ويطفئ جذوة الروعة فيه بقراءته الشارحة الهزيلة.

إن دور الناقد أن يُرِى الناس ما لا يستطيعون رؤيته في الشعر، وأن يكون ذلك نابع من الشعر، وليس مفروضًا عليه من خارجه ، والأضواء التي تكشف معاني الكلمات ، نقتبسها من المصادر التالية خلال (عملية التنقيب اللغوي) تلك المصادر هي:

١) المعاجم بنوعيها (معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني) لأن معاجم اللغة ضبطت أصول معاني الألفاظ ، دون ما سلكته هذه الألفاظ على ألسنة الشعراء من مجازات، ودروب ومدارج، فهي نقطة الانطلاق الأولى لتفسير أي لفظ، ومن ثَمَّ ننتقل إلى معاجم المعاني، مثل: فقه اللغة للثعالبي، والغريب المصنف لابن سلام، وغيرهما كثير؛ لأن الناقد قد يجد في معاجم المعاني تفصيلات وتوضيحات إضافية أكثر مما في معاجم اللغة.

٢) الاستعانة بالقرآن الكريم، والحديث الشريف في تفسير معاني الكلمات : فقد بذل المفسرون عناية بالغة في تفسير القرآن الكريم، ومن أظهر ما اتجهت إليه عنايتهم جانب الألفاظ، فتجد لديهم تغلغلاً في تفسير معنى اللفظ قد يغفل عنه أهل المعاجم، وكذلك الشأن في شرح الأحاديث النبوية، ولذا يفزع الناقد إلى هذين المصدرين النورانيين للاستضاءة بجهود المفسرين في توضيح معنى لفظ ما ورد في القصيدة، وورد في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف .

٣) البحث في كلام الفصحاء من الصحابة، والخطباء والأعراب الفصحاء، إن وردت الكلمة ذاتها في شيء من كلامهم.

٤) البحث في الشعر: في العديد من المقامات تحيرنا كلمة ما، مع معرفتنا بأصلها اللغوي، وهنا ينهض حقل الشعر بمهمة تفسيرها، وكان ابن عباس قد سَنَّ لنا ذلك في تفسير القرآن وهنا ننقله للشعر، حيث قال: «إذا أعياكم تفسير آية فاطلبوه في الشعر فإنه ديوان العرب»[١] ويكون الفحص من زاويتين:

الأولى: المرجعية الشعرية الكبرى، وهي شعر العصر الذي ينتمي إليه الشاعر، فكم من كلمة لا ندرك ما تكتنز به من دلالات إلا إذا استوعبنا رنين هذه الكلمة في زمانها.

الثانية: المرجعية الشعرية الصغرى، وهي شعر الشاعر ذاته الذي ندرس قصيدته، فربما كان له طريقة ما اختص بها في استعمال هذه الكلمة.

---

(١) التبريزي – الحماسة – ٣/١

ولعل مما يسهل هنا عمل الباحث الاستعانة بالموسوعات الشعرية الإلكترونية[١] ، فيدخل كلمة البحث ويحدد العصر، فتظهر له كل النصوص التي وردت فيها.

٥) البحث في كتب الأمثال؛ لأننا قد نجد فيها ما يُعين على توضيح وجلاء ما قد يُشْكِلُ أحياناً منهجية التعامل مع الأسماء الواردة في الشعر لإدراك العلاقات وأوجه المناسبة:

(أ)أسماء الصاحبات:

على الناقد العناية بالأسماء الواردة في القصيدة، مثل: (أسماء الصاحبات) فالناقد وهو يدرس القصيدة لا يهمل أسماء الصاحبات ، خاصة ما يرد منها في مفتتح القصيدة، ف(فاطمة) فيها نفس القطع والفصل، و(نور) فيها معنى الإباء، و(زينب) شجر حسن المظهر طيب الرائحة، والأرجح أن انتقاء الشاعر لاسم الصاحبة متناغم مع رؤية القصيدة وجوَّها العام، ولذا فلابد من الوقوف على المعنى اللغوي لاسم الصاحبة، ووجه الإتيان به في القصيدة، خاصة ما كان في مطالع القصائد.

(ب) أسماء الأقوام والقبائل :

إنْ ورد اسم قوم ما، أو قبيلة في القصيدة، فلا مناص من العودة إلى كتب الأنساب لمعرفة نسبهم، وعلاقتهم بالشاعر، وكذلك تتبع مواطنهم ومنازلهم في جزيرة العرب في الكتب المعينة على ذلك، مثل: (صفة

---

(١) من أدق تلك الموسوعات: موسوعة الشعر العربي الإلكترونية التي أطلقتها جامعة أم القرى في موقعها الرسمي.

جزيرة العرب للهمداني) ومن الكتب الحديثة : (تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي)، وكتب الأنساب، مثل : (الأنساب للسمعاني) و(أنساب الأشراف للبلاذري) و (نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي).

(ج) أسماء الحيوانات:

وإذا كانت القصيدة قد عرَّجت على ذكر حيوان ما، أو طائر ما، أو حشرة ما، فوصفت بعض أحواله، أو شبَّهت به، فينبغي معرفة وجه ذلك وفهمه، كما هو الشأن حين يذكرون الإبل، والخيل، والضباع، وبقر الوحش، والظباء، والنسور وغيرها، والعناكب، والجراد، والجنادب.

ومن أشهر الكتب المعينة على ذلك كتاب الحيوان للجاحظ.

(د) أسماء النباتات:

ومثل ذلك أيضاً في شأن النباتات والأشجار الواردة في القصيدة، وإن استطاع الناقد أن يطلع على كتب توضح تلك النباتات مع صور لها فهو أكمل وأنفع. ومن أهم الكتب المعينة في هذا المجال كتاب (زخرف الأرض – خالد بابطين)، ثم ننتقل إلى : (عملية التحليل) بدءاً من أصغر وحدات النص إلى أعلاها، وذلك بعد أن يكون بين يدي الناقد رؤية واضحة لمعاني الألفاظ، حينها يشرع في:

(هـ) أسماء النجوم والرياح والأمطار ونحوها:

إن ورد ذكر نجم ما ، أو نوء من الأنواء، ونحوها من الآثار العلوية فعلى الناقد أن يعرف ما يرتبط بذلك من فصول ومواسم وما يستبطن من معتقدات وأفكار، ومما يعنيه على ذلك ما كتبه القدامى من كتب عن النجوم والأنواء، مثل : (الأنواء في مواسم العرب لابن قتيبة).

- (التحليل الصوتي): وذلك بتفحص الأصوات، ونعني بها الحروف

والحركات الواردة في الكلام، ويسعى لرصد المواضع التي يشيع فيها نوع ما من الأصوات، فأنت في قصيدة ما تجد موضعاً تكثر فيه حروف الهمس، وموضع آخر تكثر فيه حروف الجهر. كذلك يقف على تلاؤم الحروف، ومدى تحققه.

ومما يُعد من أهم مباحث التحليل الصوتي: تحليل الإيقاع من بحر وروي، وإيقاع داخلي، في بعض الأبيات ، ويتتبع جرس الحركات وما تومئ إليه من دلالة، وقد يعين الناقد أن يستعين بالإحصاء الذي يحقق الدقة في رصد الملحوظات ، ولا يغفل عن إدراك وجه التناسب بين شيوع أصوات ما في موضع من النص، كحروف الهمس في موضع ما وحروف الجهر في موضع آخر.

- (التحليل النحوي): بحيث يصل الناقد إلى معرفة الروابط النحوية التي تشمل بنية الكلام، ولا يدع القصيدة إلاّ وقد تبيَّن وجه بناء كل جملة نحوياً، وعلاقات الجمل ببعضها نحوياً، وعدد الجملة الفعلية والاسمية، ونوع الأفعال في الجمل الفعلية، ومدى حضور نوع ما من التراكيب، مثل: النفي، أو الأمر، وغير ذلك، وماذا استعمل الشاعر من حروف العطف، وحروف الجر، وما دلالة ذلك، وغير ذلك من أوجه التحليل النحوي المعروف.
- (التحليل الصرفي): يرصد الناقد الأوزان الصرفية التي قد يكون لها حضور لافت في النص، وما دلالة ذلك، ومواطن التشديد ودلالاتها، ووجه المناسبة بين ذلك كله وبين ما يسعى النص لإبرازه وبيانه.
- (التحليل البلاغي): ويشمل علوم البلاغة الثلاثة المعروفة، فيحدد أساليب الخبر والإنشاء في الكلام ومواضع التقديم، ومواضع التأخير،

ومواضع الذكر، ومواضع الحذف، ثم يتبع بكل تيقظ وقلب حي الشاعر البيانية؛ لأنها من مخابئ الأسرار الثمينة في الشعر، وكم من شاعر تبدت خفاياه من صوره وخيالاته، ويتفطن للمواطن التي وقعت فيها، ويستكشف مواضع الفصل والوصل، ومواطن السجع والجناس، والطباق، وهل تركزت أي منها في فصل أكثر من سواه؟ ولماذا؟ وما وجه التناسب بين تلك الفنون البلاغية ومقاصد الكلام ومراميه.

- (التحليل الدلالي) :بأن يستخرج الناقد المفردات التي شاعت في كلام ما سواء بنصها أو بمترادفاتها، ويكتشف الحقول الدلالية التي سيطرت على الكلام، ومن أعجب ما يكشفه البحث الدلالي الألوان الشائعة في نص ما، فقد نجد قصيدة يشيع فيها مفردات دالة على اللون الأبيض، وقصيدة أخرى يشيع فيها اللون الأسود، وقصيدة ثالثة تجد اللونين معاً، ولا تعجب إن اكتشفت أن في الأولى تفاؤل وإقدام وبهجة وفي الثانية تشاؤم وفي الثالثة صراع وحرب، ومن الكتب النافعة في هذا المقام كتاب(اللغة واللون لأحمد مختار عمر).

وقصيدة أخرى نجد اللون الأخضر يكسو عباراتها وعندها نستطيع الحكم بأن رؤية الشاعر تحمل طاقة تفاؤل وإقبال على الحياة ، وهكذا نتخذ من الألوان المذكورة في الكلام مرقاة للوصول إلى الجو النفسي والرؤية العامة للشعر موضع الدراسة.

ومما يدخل في التحليل الدلالي تتبع (حركة الزمن في القصيدة) وهو مما ينبغي أن يعني به الناقد: فيسأل : بم بدأ الشاعر كلامه؟ بالحاضر أم بالماضي؟ وكيف ختم كلامه آتجه للمستقبل أم ظل في حاضره؟ أم ارتد للماضي ما علاقة ذلك كله برؤية القصيدة، والمراد بالزمن هناك ليس ما

تدلنا عليه أزمة الأفعال نحوياً، وإنما المعنى الدلالي العام للكلام، وعليك أن تتنبه إلى أن كل استحسان أو نقد لابد أن يُعلل، وأن يكون ذلك التعليل بلغة علمية سليمة، كما قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني: «لابد لكل كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهةٌ معلومةٌ، وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل»[١] ، وهذا المستوى في حاجة إلى حس عالٍ من الناقد، ودربه ومران، وحين يألف الناقد البحث في العلاقات فإنه يجد لذلك جلالاً وروعة تنسيه كل نصب واجهه في سبيل بغيته تلك؛ لأن تتبع حركة المعاني هو أمتع ما في دراسة الشعر، حيث تراها وهي تنمو، وتتفرع، وتشتجر ، وهي في كل ذلك تنتمي إلى أصل وعمدة تضم فروعها، وقد قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن أهمية العلاقات: «حتى ترى عياناً كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء، وماذا يذهب منها طولاً، و ماذا يذهب منها عرضًا»[٢]، وهذا المستوى شديد الاعتماد على منهجية علم المناسبة (وعلم المناسبة أعم من علم المعاني)[٣].

وأبرز العلاقات التي تمثل النسيج الحي الذي يضم أمشاج الكلام ما يلي:

أولاً: علاقة المطلع بالمقصد:

فمطلع القصيدة أهم ما ينبغي العناية به في تحليل الخطاب الشعري؛ لأن الشاعر المبدع يغرس فيه علامات أسلوبية تهدي إلى مقصده، وطالما

---

(١) عبد القادر الجرجاني – دلائل الإعجاز – ص٤١.
(٢) دلائل الإعجاز – تحقيق : محمود شاكر – ص٣٦.
(٣) محمد أبو موسى – دلائل التراكيب – ص١٠٠.

تحدث النقاد القدامى عن (براعة الاستهلال) حين يدل المطلع على المقصد، وفي دراسة مصطفى سويف التي أجرى فيها استبيانات للشعراء، ورد في إجاباتهم الإشارة إلى منزلة المطلع في تجربتهم الشعرية يقول أحدهم : «أبدأ القصيدة ببيت أو أبيات يركز كل تجربتي»[١] ، وقال آخر : «إذا تمّ لي المطلع وضح هيكل القصيدة كلها، فأشرف على ختامها من مكاني هذا فالمهم عند هو المطلع»[٢]، وفي ضوء ذلك كله يعني الناقد بدراسة مُفْتَتَح القصيد، من حيث الأسلوب ، أكان خبرياً أم إنشائياً، ثم ما هو الزمن الذي سيطر على المطلع، وما دلالة ذلك ؟ وما هي العناصر التي غرسها الشاعر في مطلعه؟ وهل ذكر الرياح والأمطار، والبرق والسحاب؟ هل بث حياة جديدة في لوحة المطلع، من ظباء ومقام ونحوها؟ اكتست لوحة المطلع بالنباتات الخضراء والأزهار الملونة؟ أم كانت لوحة الجدب والغبار والجفاف؟ وما دلالة كل ذلك؟ ما اسم الصاحبة والذي صدّر به قصيدته؟ ولماذا؟ وغير ذلك كثير.

وكذلك الشأن في فحص علاقة المفتتح بالخاتمة، ولذا قال الشافعي: عن العرب ولسانها: «وتبتدئ الشيء من كلامها يُبيِّنُ أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله»[٣]، وكلما علا مقام الشاعر في معارج البيان، علا تبعًا لذلك التناسب بين مفتتح كلامه

---

(١) مصطفى سويف- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – ص٢٤٠.

(٢) مصطفى سويف – المرجع نفسه – ص٢٢٨.

(٣) الشافعي ، أبو عبدالله ، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ) – الرسالة – شرح وتعليق : عبد الفتاح كبارة – دار النفائس – بيروت – ط ١ – ١٩٩٩م – ٥٧

وخاتمته، وشواهد ذلك في الكلام العالي كثيرة متواترة ، ولا شك أن المتلقين في أزمنة الفصاحة كان لديهم حس فني رفيع، يمكنهم من أن يكتشفوا من مطلع الشاعر ما ينبئ عن مقصده، وكأني بهم قد لمحوا في مطلع قصيدة رثاء ومضات دالة على ذلك، وفي مطلع قصيدة هجاء ثورات غضب دالة على ذلك، ومن كانت له صحبة مع الشعر القديم فإن هذا بيّن له بلا لبس.

ثانياً: علاقة المطلع بالخاتمة:

الخاتمة قرار القصيدة ، وآخر ما يطرق الأسماع منها، ولذا عدها النقاد من مواطن التجويد في الشعر.

وعين الناقد البصيرة لا تغفل عن البحث عمّا يسري من وشائج حية بين أول الكلام وآخره؛ لأن من جودة الكلام وإحكامه وجود هذا الارتباط الحي، روي الجاحظ عن رجل من طيء يمدح كلام رجل «هذا كلام يكتفي بأوله ويُشتفى بآخره» (١)، وهذا يدل على أن الكلام العالي يتضح إحكامه في أوله، حيث تتضح مقاصده، وفي آخر حيث تستقر المقاصد بعد أن جالت في أودية المعاني .

ثالثاً: وجه ترتيب الفصول، ووجه ترتيب الفقرات داخل كل فصل:

فالقصيدة أشبه ما تكون بالشجرة الوارفة الظلال الكثيرة الفروع والأغصان.

والناقد الحصيف يستطيع أن يتتبع تفريعات معنى جذري، وما خرج من هذا المعنى من فروع.

---

(١) البيان والتبيين – ١/١٤٩.

وبذلك يكتشف مقاصد الكلام ومراميه، ومداخله ومخارجه، وبواطنه التي تسري تحت ظاهر الكلمات والصور.

ولحازم القرطاجي وقفات نقدية باذخة على هذه المجالات، حيث حدد قوانين نافعة في نقد الشعر، وبين متى يحسن أن تطول الفصول، ومتى تقصر، وأن البيت الأول من الفصل يستحسن أن يكون (عمدة المعنى) في فَصْله، وأنه قد يؤخر فيكون في خاتمة الفصل.

وأن مبدأ الفصل يصاغ عادة صياغة تدل على أنه مبدأ الفصل ، مع مراعاة أن يكون للكلام عُلقة بما بعده، حيث يتبعه ما يكون لائقًا به ، واللائق به أنواع، فمنه ما يكون مقابلا له، أو تفسيرًا له، أو محاكيًا لبعض ما فيه(١).

كما نبَّه إلى أوجه ارتباط الفصول بعضها ببعض، ومراتب ذلك، وهذا يعني أن الناقد لابد أن يفحص طرائق الخطاب الذي بين يديه في الفصل، والوصل ويتبيّن كيف انتقل الكلام من معنى إلى معنى.

وقد سمى حازم ذلك (القانون الرابع في وصل بعض الفصول ببعض) وهو في غاية النفاسة والدقة(٢).

والخلاصة أن العمل في مرحلة (التحليل الدلالي) يركز على شبكة علاقات الخطاب، حتى يدرك وجوه ارتباط الكلام من أصغر لبناته إلى أكبرها، وهنا يتهيأ العمل النقدي للارتقاء إلى ذروته في المستوى التأويلي.

---

(١) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – ص٢٨٨

(٢) حازم القرطاجني – المصدر نفسه – ص٢٩٠.

رابعاً: المستوى التأويلي:

هو المستوى الذي يبحث عما وراء الكلمات، وبواطنها، ومقاصدها الخفية، ومراميها البعيدة، وهذا لا يصل إليه الناقد إلاّ بعد أن تتضح له كل المستويات السابقة بكل جلاء ووضوح ، وتطول خبرته بالشعر، حيث يكشف الناقد في هذا المستوى رؤية القصيدة العامة، ومقصدها الأسمى، وأهم ما يعينه على الوصول لذلك :اكتشاف الصورة الأم في الكلام موضع الدراسة ، والمراد بالصورة الأم: صورة خيالية، أشبه ما يكون بمشهد حي متكامل ، ذات طابع حسي، تتكرر في مواطن عدة من النص، وتتنامى وتتوالد، وبتأمل مجموعها تدل على المقصد، وتشكل بصمة فريدة للكلام الذي وردت فيه ومن أهم صفاتها :

١) النمو: تبدأ في الظهور ، ثم تتنامى تدريجياً ، وقد يستمر ذلك التنامي متصاعداً، وقد تنكسر رؤية القصيدة فتتخذ منحنى نزولياً منكسراً وفق ما تسير إليه الرؤية العامة للنص.

٢) الانبثاق من المقصد والارتباط الحيوي به، والدلالة عليه.

٣) التكرار، فلا تنحصر في فصل دون آخر، بل تراها تبزغ في مواطن متعددة من الكلام.

٤) الكشف عن الجو النفسي الذي يشيع في النص كله.

وللكشف عن الصورة الأم فوائد جمة، منها: الدلالة على مقصد القصيدة ، ورؤيتها العامة، والوصول إلى جوها النفسي العام، والعاطفة التي سيطرت عليها، ونوع تلك العاطفة ودرجتها، وكذلك الاستعانة بها في توثيق نسبة كلام ما لقائله ، وهنا يتحقق ما قاله حازم: «اعلم أن الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطعة من الكلام المؤلف،

والفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلفة من الحروف، والقصائد المؤلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلفة من الألفاظ» [١].

فإذا كان البيت بمثابة حرف، والفصل بمثابة كلمة، فإن القصيدة ستكون جملة واحدة. فإذا استطعت أيها الناقد أن تلخص كل القصيدة في جملة واحدة فإنك عندها ستكون قد كشفت السر، وأبرزت المخبأ ووضعت يدك على الكنز الدفين ، والحمد لله أولًا وآخرا .

(١) حازم القرطاجني – المنهاج – ص٢٨٧.

قائمة المصادر والمراجع

١- الآمدي ، أبو الحسن ، سيد الدين علي بن أبي علي الآمدي (ت ٦٣١ هجرية) – الإحكام في أصول الأحكام – تحقيق : عبد الرزاق عفيفي – المكتب الإسلامي – بيروت – دت

٢- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – المكتبة العصرية – بيروت – دط – ١٩٩٥م .

٣- الأدلبي ، صلاح الدين بن أحمد– منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي – دار الفتح للدراسات والنشر– الأردن – ط١ – ٢٠١٣م.

٤- الإسْنَوي ، جمال الدين ، عبدالرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي (ت ٧٧٢ هجرية) – نهاية السّول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول ، للقاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفى ٦٨٥ هجرية – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٩م

٥- إنميرات، عبدالعزيز– مناهج قراءات التراث في الفكر النهضي العربي ، إشكالات ونماذج – مركز التأصيل للدراسات والبحوث – جدة – ط١ – ٢٠١٣م.

٦- البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– خرج أحاديثه وآياته : عبد الرزاق غالب المهدي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٥

٧- البندر، عبدا لزهرة– منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي ، أصوله وتطوره – دار الحكمة – ط١– ١٩٩٢م

٨- التهانوي، محمد بن علي الفاروقي – كشاف اصطلاحات الفنون– تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والترجمة والنشر – د.ت – ١٩٦٣م.
٩- الجاحظ ، أبو عثمان، عمرو بن بحر الكناني (ت٢٥٥هـ) – البيان والتبيين – تحقيق: عبدالسلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر.
١٠- الجرجاني، عبد القاهر (ت٤٧٤هـ) – دلائل الإعجاز – قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر – دار المدني بجدة – ط٣ – ١٩٩٢م.
١١- حازم القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق : محمد الحبيب ابن الاخوصة – دار الكتب الشرقية – د ط – د ت .
١٢- ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ) – السيرة النبوية وأخبار الخلفاء – صححه : الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء – مؤسسة الكتب الثقافية –ط١- ١٩٨٧م .
١٣- الحميري، عبدالواسع- ما الخطاب وكيف تحليله- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت – ط٢- ٢٠١٤م.
١٤- الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (ت ٤٢٥ هجرية) – مفردات ألفاظ القرآن – تحقيق : صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق –ط ٤ – ٢٠٠٩م
١٥- الزبيدي ، محمد بن محمد الزبيدي (ت ١٢٠٥ هجرية) – تاج العروس من جواهر القاموس – تحقيق : مجموعة من المحققين – دار الهداية
١٦- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ) – البرهان في علوم القرآن – خرج أحاديثه وعلقه عليه : مصطفى عبدالقادر عطار – دار الكتب العلمية – بيروت – دط- ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
١٧- الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم ، محمود بن عمر الزمخشري (

٥٣٨ هجرية) – أساس البلاغة – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – د ط – ١٩٨٩ م

١٨– السبكي ، تقي الدين ، أبو الحسن ، علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦ هجرية) وولده تاج الدين ، أبو نصر بن عبد الوهاب – الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى عام ٧٨٥ هجرية – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥م

١٩– سعيد، همام عبدالرحيم– الفكر المنهجي عند المحدثين (البيان) مركز البحوث والدراسات – الرياض – ط١– ١٤٣٣هـ

٢٠– ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣٢هـ) – طبقات فحول الشعراء – قرأه وعلقه عليه : محمود محمد شاكر ، دار المدني – بجدة – د ط – د ت .

٢١– سويف، مصطفى– الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – دار المعارف – القاهرة – د ط – د ت .

٢٢– السيوطي – جلال الدين ، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) – تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تحقيق : نظر محمد الفاريابي – دار طيبة – الرياض – ط٥ – ١٤٢٢هـ.

٢٣– السيوطي – الإتقان في علوم القرآن . تحقيق: فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي– بيروت – لبنان – دط– ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

٢٤– الشافعي ، أبو عبدالله ، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ) – الرسالة – شرح وتعليق : عبد الفتاح كبارة – دار النفائس – بيروت – ط ١ – ١٩٩٩م

٢٥- شاكر ، محمود محمد- المتنبي – رسالة في الطريق إلى ثقافتنا – مطبعة دار المدني – مصر – دط- ١٩٨٧م.
٢٦- شاكر، محمود محمد- نمط صعب ونمط مخيف – مطبعة دار المدني – جدة – ط١ – ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
٢٧- الشاهد ، السيد محمد- رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم – دار المنتخب العربي للنشر والتوزيع – ط١- ١٩٩٤م.
٢٨- الصويان ، أحمد عبدالرحمن – منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم – البيان – الرياض – د ط- ١٤٣٢هـ
٢٩- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – تحقيق: أحمد عبدالرزاق البكري وآخرون – دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة – ط٤ – ٢٠٠٩م.
٣٠- ابن فارس ، أبو الحسين ، ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هجرية) – معجم المقاييس في اللغة – حققه : شهاب الدين أبو عمرو – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – ط١ – ١٩٩٤ م
٣١- القرطبي ، أبو عبدالله ، محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ) – الجامع لأحكام القرآن – تحقيق: أحمد البردوي، وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – ط٢ – ١٩٦٤م.
٣٢- الكلوذاني ، أبو عبدالله ، محمود بن أحمد بن الحسن الحنبلي (ت٥١٠هـ) – التمهيد في أصول الفقه – تحقيق : مفيد محمد أبو عمشة ، ومحمد بن علي بن إبراهيم – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى – مطبعة المدني – ط١-

١٩٨٥م.

٣٣- محمد أبو موسى – دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية – مكتبة وهبة – القاهرة –ط ٢ – ١٩٨٧م .

٣٤- مسلم، مصطفى- مباحث في التفسير الموضوعي – دار القلم – دمشق – ط٨ – ٢٠١٣.

٣٥- ابن منظور ، أبو الفضل ، جمال الدين ، محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١ هجرية) – لسان العرب – دار صادر – بيروت – د ط – د ت

٣٦- يعقوب ،عبد الرحيم (فيروز) – تيسير الوصول إلى علم الأصول – مكتبة العبيكان – الرياض – ط ١ – ٢٠٠٣م

الدوريات :

١ – بازي، محمد- تحليل الخطاب في التراث العربي الإسلامي مبادئ أولية لتأصيل النماذج – بحث منشور في مجلة عالم الفكر – الكويت – العدد ١٧٧- ٢٠١٩م.

٢ – قصاب، وليد- من ملامح المنهج النقدي المنشود – بحث منشور في مجلة : الأدب الإسلامي – العدد (٩٥) – ٢٠١٧